المحاضرة 12

منهجية البحث الأنثروبولوجي

" البحث الميداني "

أولا: الباحث الأنثربولوجي والميدان:

على الباحث الأنثربولوجي أن يحدد المنهج المناسب الذي سيعتمد عليه في بحثه، مع تحديد أهم الأدوات والوسائل التي بواسطتها يتم تجميع المعطيات والبيانات، كما عليه التقيد بمجموعة من الشروط والاستعدادات قبل القيام بالبحث في أثناء إجراء البحث، ومن أبرز المميزات الأساسية لمنهج البحث الميداني هو ذلك الارتباط الحاصل بين النموذج النظري، والنموذج المنهجي، من خلال الاستخدام المناسب للأساليب الكمية والإحصائية في الدراسة الأنثربولوجية.

إن الأهالي يميلون في أي مجتمع محلي، إذا حل شخص غريب عنهم، إلى تحديد دوره فإما يرونه مندوبا عن السلطة الرسمية، أو عن الضرائب، أو عن الشرطة، أو عن مصلحة العد والإحصاء ... ، كما قد يكونوا حريصين ومرتابين منه عندما لا تتضحه الغاية التي جاء من أجلها، وكل هذا يعد من العوائق التي تعيق الباحث أثناء إجراء الدراسة الميدانية، ولتذليل هذه الصعوبات على الباحث إن يعمل على صناعة جسور الثقة والمودة مع أفراد مجتمع الدراسة.

وفي الحالات التي ينتمي فيها الباحث إلى ثقافة غير تلك الثقافة التي يدرسها يكون هذا عامل انتباه للأهالي لإجراء المقارنة دائما بينهم وبينه، مما يكون مدعاة لطرح الأسئلة الموجهة إليه عما يحدث في هذا الموقف أو ذاك في مجتمعه، ومن الأفيد أن يجيب عليها بصورة لا تحمل معنى التمركز العرقي، ذلك أن هذا التمركز قد يكون هو الشعور المسيطر لدى الأهالي تجاه غيرهم، وهناك نقطة مهمة، أثناء إجراء الدراسة الحقلية، وهي عدم تدخل الباحث في الحياة العادية لمجتمع البحث، وعدم الخلط بين دوره كملاحظ ودارس للثقافة وبين دور المصلح الاجتماعي إلا إذا كان مشاركا بالفعل في أحد برامج التنمية المحلية .[1]

ثانيا: مراحل البحث الأنثربولوجي

1- مرحلة ما قبل الدراسة الميدانية: قبل النزول لميدان البحث

الأمر يتعلق بالشيء الذي يميز البحث الاثني – أنثربولوجي، هو تلك الحميمية الوثيقة التي تنشأ بين الباحث وجماعة أو منطقة أو طائفة سياسية أو لغوية أو سكنية، عبر التواصل القائم خلال الدراسة وينشأ ذلك التواصل القائم بفعل الإقامة الطويلة المفروضة على الباحث في بيئة موضوعه الأنثربولوجي .

---

1 : فتحية مُحَمَّد إبراهيم: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ، الرياض السعودية،1985.

فبعد أن يحدد عالم الأنثربولوجيا هدفه ينتقل بعد ذلك إلى ميدان بحثه، وهو الجماعة أو المكان أو المجتمع الذي سيقوم فيه العالم الأنثربولوجي ببحثه، وكان الكثير من الأنثربولوجيين ومن بينهم " مالينو فسكي " مع بداية القرن العشرين قد عارضوا ما يسمى بـ " اثنولوجيا الشرفة " و " اثنولوجيا المكتب المغلق "، وقد نجح " مالينو فسكي " في إقناع زملائه بالخروج من الشرفة والذهاب إلى حيث يقيم السكان الأصليون ومشاركتهم حياتهم، وبذلك بدأت المراقبة المشاركة، التي طبقها الكثير من الباحثين .

وعليه فعلى الباحث أن يوطد علاقات الصداقة مع الأهل بحيث يلاحظ مختلف مظاهر النشاط اليومي ،ويتابع حياة الجماعة من داخل المجتمع وليس من خارجه ،ولن يتسنى له ذلك إلا إذا عاش . ما استطاع . في قراهم أو مخيماتهم ،وأصبح يؤلف جزءا فيزيقيا ومعنويا من مجتمعهم ... ويعتبر الأنثروبولوجي فاشلا في مهمته إن لم يشعر هو . كما يشعر الأهل أنفسهم . بالأسى والحزن حين تحين ساعة الفراق "

2- <u>أثناء القيام بالدراسة الحقلية</u>

بمجرد وصول الباحث إلى حقل الدراسة سيجد أن أمامه مطلبين رئيسيين هما التعارف مع المسؤولين في المواقع والأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية الخاصة ،وتوفير مقر إقامة له مع ما يتصل بذلك من سبل معيشية مختلفة ،وفي أغلب الأحيان يساعد إنجاز المطلب الأول بصورة سليمة على توفير المطلب الثاني ما لم يكن قد تم ذلك بالفعل خلال الزيارة الاستطلاعية ،وسوف تساعد الخطابات الصادرة عن الجهات العلمية والرسمية على توضيح مهمة الباحث وحسن استقباله والتعاون معه.[2]

وأثناء القيام بالدراسة الحقلية هناك مجموعة من المبادئ والأساسيات الضرورية، وجملة من التقنيات الذكية يتوجب على كل باحث اثنوغرافي، الاطلاع عليها، والتمسك بها، لضمان عمل اثنوغرافي ميداني وفق المواصفات الموضوعية، التي يمكن من خلاله فهم المجتمع المدروس، كما قد تعتمد المعطيات الميدانية في الوصول الى قانون ولو بصفة نسبية، أو من خلال تحليل المعطي الاثنوغرافي الميداني أن ننقض نظرية من أساسها، لتحل محلها نظرية أقدر على فهم الظواهر الاجتماعية.

و يرى مارسيل موس أن الملاحظة الاثنوغرافية يجب أن تكون ذات طابع شمولي من خلال اهتمام الباحث الاثنولوجي بتسجيل كل التفاصيل المتعلقة بالوقائع المشاهدة دون إهمال مكوناتها وعناصرها الجزئية، من خلال التركيز على اللغة كمحور بحث، وكذلك المنظومة العرفية والقانون، والعلاقات، الرموز المتعلقة بالجماعات مثلا، بالإضافة إلى العادات والطقوس الممارسة.

3- مرحلة ما بعد الدراسة الحقلية

بعد أن يتأكد الباحث الاثنوغرافي، أنه قد قضى المدة الزمنية الكافية في مجتمع البحث، وأنه قام بجمع المادة الضرورية والمطلوبة، ذات الصلة بموضوع الدراسة وبدرجة كافية، فانه يصبح بمقدوره مغادرة ميدان البحث والتوقف

---

[2]– فتحية مُحَمَّد إبراهيم : مرجع السابق.

عن المعاينة والمشاركة، وجمع المعطيات الميدانية، حيث سينتقل إلى مرحلة التحليل المركز والدقيق لما تم جمعه، وقبل الشروع في عملية التحليل فعلى الباحث أن يأخذ وقتا كافيا كأن يكون شهرا، وذلك من أجل إعادة ترتيب وتصنيف ثم قراءة والاطلاع على ما تم تحصيله من ميدان البحث وفحصه بطريقة شاملة ومتكاملة، وقد لا يعتمد على أسلوب واحد، بل يعتمد أساليب متعددة قبل الانطلاق في عملية التحليل، فهذه الأخيرة هي الهدف المنشود من وراء القيام بالبحث الاثنوغرافي، وذلك من أجل الوصول إلى فهم وتفسير الأفعال والمواقف لدى الأفراد أو المشكلات والقضايا ذات الصلة بالنسق الاجتماعي والثقافي وباقي أنساق المجتمع الأخرى. وبعد استكمال مرحلة تحليل البيانات الميدانية واستخلاص النتائج فعلى الباحث أن يعد التقرير النهائي للدراسة.